

# ناقدة عمانية: مُجبل أن تفكر المرأة بعقل رجل

أمنة الربيع: المجتمعات العربية ليست حرة تماما، ولا متحضرة تماما، ولا ديمقراطية أبداً



المرأة العربية المفكرة أمام مآزق كبرى (لوحة للفنانة علا الأيوبي)

أبدو أكثر مثل رجل هارفارد، فالملحظة هنا، أن نضال المرأة بوجه عام وفي كل العالم غالبا ما ينطلق من تمثيل لتصوير جاهز ومسبق لمنطلقات ذكورية، وإذا ظل الوضع كذلك فهذا لن يسهم في تقديم إضافة إلى نضال المرأة إنما سيكرس للانماط الثقافية المكررة".

وفي سؤال عن أهمية المنجز النقدي والفكري النسائي في السنوات الأخيرة، تجيب الربيع "إجابة هذا السؤال تتصل بإشكالية غياب المراكز الاستراتيجية المعنية بتتبع وفحص هذا المنجز، وتقدير أهميته وقوته في بناء الإنسان وتأهيل المجتمعات للتحضر والصحة والمدنية.

هنا أو هناك. وانطلاقا من الوسط الذي أتحرّك فيه ولا يشمل بالضرورة كل الوطن العربي، أرى النضال قليلا جدا مقارنة بنتائج الرجل. المخجل هنا أن تفكر المرأة بعقل الرجل! هي لا تكفي بتطبيق شعاعات دخيلة عليها بل تزيد من الطين وكأنيها هنا تؤكد أطروحاته الذكورية الحادة".

وتضيف "في فيلم 'On the basis of sex' الذي تتناول السيرة الذاتية لحياة روفسار جينسبرج كأول امرأة تصل لمنصب قاضية في الولايات المتحدة الأميركية، تسأل زوجها 'أي ثوب يجعلني

والتنظيري في مجالات العلوم الإنسانية. والظاهر لسي أننا ننظر إلى اشتغالنا النقدي/والفكري منطلقين في الغالب من مرجعة غربية شعاعيات أو مؤسساتية، وهو أمر اعتدناه، لكن تجاوزه بات ضرورة لفهم الموقع الذي نقف عليه، هل من المعقول في هذا العصر أن نرجع للمربع الأول فيتصدر التكفير والإرهاب والعنف أحاديثنا ومشاريعنا الثقافية؟ هذا تكوص أو هزيمة لذات الحركة".

وعن حجم الإنتاج الفكري والنقدي للمرأة العربية تقول الربيع "لست متأكدة من وجود دراسة إحصائية شاملة تبين هذا النضال، لأن الجهود ذاتية ومبعثرة

السلطة؛ إنها المؤسسات المهيمنة، وقد لاقت هذه الثقافة رفضا وتحديا من قبل بعض التيارات النسوية وغير النسوية. مع تحفظي على هذا التيار الراديكالي المتشدد".

## معنى المساواة

توضح الربيع أن السؤال عن عدم نجاح المرأة العربية في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري غير دقيق، وترى أنه يجب أن يحدد فهم معنى المساواة. تقول "لدينا اليوم مفكرات يشتغلن على النضال النقدي، وأخرى يناضلن في مساحات مختلفة، لكن ومن ناحية أخرى إن النساء المفكرات والمبدعات لا يكثرن بالعمل ضمن 'برلمان نسائي' مستوحية هنا مسرحية أرسطوفانيس، أو يعملن ضمن شبكات خاصة بالنساء الباحثات في قضايا ثقافية وجندرية وملفات الأنثروبولوجيا، إلى غير ذلك من دراسة أوضاع المغتربات والسجينات وأسر الشهداء".

وتتابع الناقدة العمانية "أرجو ألا أفهم أنني مع دعاوى التحيز أو الانفصال والعمل ضمن دوائر منغلقة على النوع، مفهوم البرلمان ينطلق من اشتغال ضمن مجموعات مفتوحة على كل العالم يضم خليطا من الباحثات والباحثين في قضايا مشتركة، يجري عبرها تبادل الخبرات ومعرفة ماذا يجري على السطح الآخر، لأن مشكلات النساء وقضاياهن متشابهة إلى حد كبير، لكن الاشتغال البحثي المؤسساتي غير متوفر ومتذبذب لذلك تضع علينا الفرص الجادة، وأيضا من المعوقات غياب الدعم، وعلى الرغم من توفر السوشيال ميديا إلا أن الجهود التي أتبعها من هنا وهناك أجدها تقتصر على دوائر صغيرة كترؤس بعض إدارات مواقع المجالات".

وتؤكد الربيع على أن هناك تراجعاً على جميع نواحي الحياة على مستوى التعليم والتمويل والتفكير وفي المشاريع المستقبلية وفي الإبداع إلا من استثناءات هنا وهناك. تقول "البنين الفوقية يمكنها أن تؤدي وظائف سلطوية قهرية في مجالات الحياة المختلفة، ولكن فهمننا للمشروع النقدي أو الفكري الإبداعي غير قابل للتعميم، فكما أسلفت أدنا تحديد المفاهيم والمصطلحات مهم. لدينا نساء باحثات لديهن مشروعهن النقدي

تتابع "العرب" في مجموعة حوارات ملف "مجلة الجديد" الأخير حول "المرأة الناقدة والمفكرة"، حيث تناولت المجلة في عددها 56 الصادر في الأول من سبتمبر الجاري، المكرس بكامله للنقدي، تقصي دور المرأة في التأسيس لنقد أدبي وفكري، معاصر ومرتبطة بالظواهر الأدبية والفكرية والجمالية التي أنتجتها مشاركة المرأة في الأدب العربي المعاصر، وكرسها منجزها الأدبي والنقدي. وفي هذا الحوار مع الناقدة والباحثة في قضايا النقد الأدبي الحديث، الحاصلة على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وأدابها العمانية أمنة الربيع نستكمل بعض جوانب هذا الملف المهم من خلال مجموعة محاور أساسية مرتبطة به.

الأفكار الإمبريالية الجاهزة فتعممها دون تعمق في قراءة السياق الذي تسعى إلى تطبيقها عليه.

لا تقل الربيع من الارتباط بين شبه الغياب للمرأة المفكرة وبين ما يعانيه المجتمع العربي من تمييز جنسي، وترى فيه تحيزاً عاثراً منه الغرب كذلك، وتدل عليه بطروحات النسوية. تقول الربيع "لا أريد أن أتجاهل أن فهم حركة نضال المرأة لنيل استقلالها المادي وحريتها الفكرية في مجتمعاتنا العربية لم يتحقق تحقفاً شاملاً، فالدهش أن المرأة في بعض الدول العربية لا تزال تعاني من الأمية، وتعرض لسلطة القهر الذكوري والتهميش، كما يتم استغلال إنسانيتها في مصالح يستفيد منها الرجل من الدرجة الأولى (الأب والأخ والابن) ومرجعيتها هذا الاستغلال تتداخل فيها خطابات عديدة: اجتماعية ودينية. ومن جهة أخرى، دفع هذا التمييز إلى ظهور كتابات سردية ودراسات فكرية بحثت في أسباب هذا التحيز عبر إخضاع المقولات الأبوية للجدل والنقاش والتحليل".

وتتساءل الربيع كيف يمكن أن نمنع أو نقصي الحضور المركزي للثقافة الذكورية في مجتمعاتنا ما زالت تحتكم في تسيير تفاصيل حياتها وفقاً لمركبات نفسية وثقافية متداخلة ومعقدة.

وتضيف في الشأن نفسه "المجتمعات العربية ليست حرة تماماً، ولا متحضرة تماماً، ولا ديمقراطية تماماً. قد لا يرحب بعضهم بهذا التعميم فإره فجاً، لكني لا أزعم أنني سأسلف إلى خلاصة ما يشان هذا الإرث القهري. هناك دراسة للناقدة ضياء الكعبي تناقش فيها ما علق بصورة المرأة في السرد العربي القديم من دونية. وعلى الجهة الأخرى وينوع من الإنصاف علينا ألا نضع البيض كله في سلة واحدة! من منح الرجل هذه



زكي الصديري  
كاتب سعودي

تبدأ الناقدة العمانية أمنة الربيع ملاحظاتها حول ملف مجلة الجديد المخصص للمرأة الناقدة والمفكرة، بقولها "إن الملف بوجه عام يدفعني إلى التسليم بفكرة غياب المرأة المفكرة، وهذا منطلق قد يؤدي بنا إلى الوقوع في فخ تكرار الثنائيات التقليدية المنطلقة من مفاهيم الذكورة والأنوثة، أو الشرق والغرب، أو المتقدم، لا سيما، ما يخص الذات الأنثوية المبدعة".

## فهم حركة نضال المرأة لنيل استقلالها المادي وحريتها الفكرية في مجتمعاتنا العربية لم يتحقق تحقفاً شاملاً

وتضيف "بالنديق أيضاً، نجد أن مجتمعات الخليج العربي هي كذلك، كل صغير من المجتمع العربي الكبير بكياناته السياسية المتناحرة. ولذا يؤشر البحث إلى أن أسباب ندر المرأة المفكرة تحتاج بدورها إلى تفكير! فهل المرأة المفكرة هي المنتجة في علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء؟ أو هل هي الفيلسوفة؟ أو هل هي المبدعة والمنتجة في مجالات النقد والسرد والثقافة في مجتمعات في ظاهرها غير أبوية؟".

## مرجعية الاستغلال

ترى أمنة الربيع أن أسباب ندر وجود المرأة المفكرة تحتكم بها عدة عوامل اقتصادية واجتماعية وذاتية، بالإضافة إلى عوامل تستقطب غالباً

## مدن وأنهار وتخاييل فنية



روايات وقصص وأعمال فنية كثيرة جعلت من النهر مادة فنية ثرية وملهمة وصل بعضها حد السحر

الأسري، حيث أريد لها أن تتزوج قسراً، وتخوض في سبيل ذلك معارك ضارية، مثلما سيخوض النهر معركة حاسمة ضد آلية الإلغاء التي بدأت تحاصر البيئة، بالموازاة مع النفوذ المتصاعد للمال في مجتمع يتحول تدريجياً من إطاره الفطري المطبوع ببقع القرية إلى قاعدة استهلاكية عومت في بحيرة من المظاهر التحديدية الزائفة، وتدرجياً تبرز للوجود علاقات رائدة، وتدرجياً تمخر عباب الزمن والفضاضات والعقائد والرسائل المعنوية. ولن ترسو هذه العلاقات عند مرفاً محدد، تتبدد فيه حدة الصراع بين البطلة ومقابلاتها الروائية. ليست صدفة إذن تلك التي جعلت عدداً كبيراً من المتاحف والمكتبات وأروقة العرض من باريس إلى براغ ومن موسكو إلى بلغراد ومن بودابست إلى القاهرة تطل على صفحة الماء المنقبضة دوماً على سرها الخالد.

أخرس يستمع لفيض الفعل والحركة والكلام، أو يحتضن أسراراً لم تقف، ودارت بخلد الشخصيات وهي تشرب إلى عمقه المظلم. يقول السارد علي لسان البطل أنيس زكي في رواية "ثرثرة فوق النيل" لنحبيب محفوظ "نحن نعيش فوق الماء فهنئذ لوقع أي قدم".

ما الذي يقوله النهر في المدينة تحديداً، ولا نقوله الأبنية والساحات؟ لماذا هذا الإصرار على التوزع بين ضفتين في مدن كان بإمكانها أن تنهض على امتداد لا يحتاج لجسور؟ ولماذا هذا الإيمان على الوجود بجوار مهدد بالغرق كل شتاء؟ تلك الأسئلة وسواها هي ما يمنح الأعمال النهرية/المدينية، قدرتها على النطق بلسان الشخصية.

في إحدى فقرات رواية "إبانة والنهر" لحليم بركات نقراً ما يلي "لم تكن 'إبانة' بحاجة إلى كثير من التفكير، كي تترك أن أهلها والناس حولها أرادوا منذ البدايات الأولى تدجينها... تولعت خاصة بتصوير الوجوه والماء باعتبارها من أكثر الأشياء تحولاً... وحين كانت تعود من سفراتها القصيرة... كانت تصغي للنهر في الليل وهي جالسة تحت الدالية... وتحلم أنها تطير فتحلق وتهبط مستغربة أنها تملك مثل تلك القدرة العجيبة".

في هذه الرواية يلمس القارئ التلازم الوظيفي بين شخصية "إبانة" وفضاء النهر، تواجه إبانة إرادة الاحتواء

حماة الفعل المصارع للماء، قبل التيه مساء في مناهات المدينة. وفي روايات بروست وموزيل ونجيب محفوظ تلتبس أحاسيس الشخصيات الساكنة لمدن باريس وقيينا والقاهرة، بإحساءات أنهار "السين" و"الدانوب" و"النيل"، الوقوف على ضفاف النهر وتامله، وعبور جسوره، تختصر زمناً روالياً غير هين، تعجن فيه الكلمات محمولات اللون والضوء والانعكاس المائي، وأحياناً يتحول النهر إلى بطل



الأنهار روح المدن وملهمتها المبدعين

تحضرن في هذا السياق تحديداً لوحة الفنان التشكيلي الروسي، إيليا ريبيين ولوحته "قاطرو البواخر في الفولغا" النهر المحترق لموسكو وقازان وبيرم. تسعى اللوحة إلى تمثيل شخصيات منهكة لعمال قطر السفن بصفات النهر، حيث ترتصف أجساد البحارة وتتداخل أجسادهم في حركة جر الحبل المشدود للكتلة الطافية فوق الماء، يبدون كمن ينحت مجرى للنهر الجبار، تتبدد الملامح والتقسيم في

المساكنة لسردياته وصوره وأساطيره. يقال إن الكنوز الدفينة به لا تحصى، منذ أغرق الألمان سفنهم الحربية حتى لا يغنمها الحلفاء، وحتى ثروات اليهود الذهبين إلى اشفيين... ويصرق النظر من صدق الأزعومة أو زيفها، فالموكد أنه نطو على ذاكرة نفيسة حافلة بالرموز والمعاني.

يربط الدانوب مدنا ولغات وشعوباً مثلما تتناسخ عبر تمثيلات الألاف من الصور، يبدو هو الصلة الوحيدة بين كل تلك الأعمال المتباعدة، مثلما هو حال نهر "الرين" الواصل بين مدن فرنسا وألمانيا، ففي معرض احتضنه متحف "البوندسكوبستال" بمدينة "بون" الألمانية تتراصف اللوحات الملتقطة لوجيب النهر في مسار حافل بالصرع والتنازع قبل أن يضي مساراً لالتقاء الثقافي، يضم المتحف أعمال فنانين من قبيل ويليام ترنر ويوهان دولف لاسينسكي التي تلتقط النهر في احتوائه لمدينة "كوبلنز" المطلة على قلعة "إيرنبريتشتاين"، ويتجلى النهر في مجمل تلك اللوحات بما هو الأصل والخلفية والقصد والمركز، في مساحة لونية تغوص فيها تفاصيل المدن؛ معمارها وجسورها وقلاعها وغاباتها وقوارب عابريها والغاز ساكنها، فيها للناظر أنها مجرد صدى لصفحة رصاصية داكنة، هي صورة المجري المتدفق دون حد.



شرف الدين ماجدولين  
كاتب مغربي

حين كتب بابلو كويهلو رواية "على ضفاف النهر جلست وبكت" لم يكن يلتفت إلى وقع النهر أساساً، وإنما إلى حال البكاء على الماء، وكانت الشخصية بوجود النهر أو غيره، ستعيش بكأنياتها، النهر تفصيل نثري لجعل النحيب جذاباً، وهو شيء مختلف عن الوجود النهرية في رواية "جسر على نهر درينا" لإيفو أندريتش، حيث النهر قاعدة الرواية المنتسجة حول سيرة جسر، قطع عقوداً طويلة راسخاً، منذ أن بناه السلطان العثماني إلى أن احترق على مدخله المقاتلون في الحروب الأهلية والعالمية المتواترة. بدا النهر شاهداً على أحوال "سرايفو" وقوميته ولغاتها وتجارات أدبائها وطوائفها. ليس شهيراً نهر "درينا" الذي تخلده رواية أندريتش، ولا يقارن بـ "الدانوب" المحترق مدن "قيينا" و"براتيسلافا" و"بودابست" و"ريغنسبورغ" و"بلغراد"، الساكن روايات ولوحات وأفلاماً خالدة. ربما تكون لوحة التروفور البرتش المعروضة في متحف بودابست من أشهر تمثيلات، عبنة عن ولع أزلي بماء وضفاف ومدن استوطنت وجدان الألمان والنمساويين والرومانيين والمجريين، والعشرات من القويات